



# في القصة العربية الحديثة

بقلم سليمان فياض

أكثر من قصتين ، وهذا الشعور نفسه يعجزني عن كتابة هذه الدراسة . وهأنذا أجلس لاكتب مجرد خواطر وانطباعات ، مما أذكره الآن ، ومما بقي في نفسي عن دور « الآداب » في القصة العربية الحديثة على مدى ربع قرن ، منذ عام ١٩٥٢ الذي يومنا ، ولا أعتقد أنني سأقدم كل خواطري وانطباعاتي . ولا أعتقد كذلك أنني سأفي بحق « الآداب » عليّ في هذا المجال . حسبي أن أشير إلى بعض الخطوط العريضة ، والظواهر القصصية ، التي عشتها مع « الآداب » . ومع أبناء « الآداب » من كتاب القصة في عالمنا العربي .



بالتأكيد ، لعبت « الآداب » دورا هاما ، بل أخطر الأدوار على الإطلاق ، في نمو تجربتين أدبيتين : الشعر العربي الحر ، والقصة العربية الجديدة . لقد كانت بشائر هذين الشكليات في الأدب العربي ، سابقة على وجود « الآداب » وصدورها ، في سنوات الأربعينات ، على أيدي شعراء من أمثال السياب ، ونازك ، وقصاصين من أمثال يوسف الشاروني ، وأدوار الخراط . وأزعم ، على الأقل أشك كثيرا في أنه كان متاحا لهاتين التجربتين الرائدتين شعرا وقصا ، وشكلا ومضمونا ، أن تنموا ، وتقطعا أشواطاً طيبة ، بل أن تستمر في البقاء والاستمرار ، وتقدما إضافة جديدة لديوان الشعر العربي ، والقصة العربية ، بعد جيلي مدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، في الشعر ، وبعد كتاب القصة العربية في العقود الأربعة الأولى من هذا القرن ، وبخاصة في مصر ، وسوريا ، والعراق . من أمثال نجيب محفوظ ، ويحيى حقي ، وعادل كامل ، وعبد السلام العجيلي ، وتيمسور . لقد ولدت « الآداب » اثر اغلاق مجلتي « الرسالة » و « الثقافة » في مصر ، بعد مجلتي « الكاتب المصري » و « الكتاب » ، في السنوات التي تلت الحرب الأولى بين

باديء ذي بدء ، كان يودي أن يعدّ لهذا العدد من « الآداب » ، احتفالا بدورها الفكري والأدبي في ثقافتنا العربية ، وحياتنا الاجتماعية ، على مدى ربع قرن طوال عام على الأقل . لكن العذر قائم لصاحبي « الآداب » سهيل وعائده وللكتاب العرب الذين يدينون « للآداب » بحق الوفاء . فالظروف العربية عامة ، واللبنانية خاصة ، كانت سريعة الإيقاع ، متلاحقة الأحداث في السنوات الأخيرة وبالتحديد في العامين الأخيرين . وبلغت من شدة الوطأة ، أن اضطرب صدور « الآداب » في مواعدها ، وتشتت علاقة « الآداب » بكتابها ، وهي علاقة كانت حميمة دائما بالآداب وبرئيس تحريرها ، تشتت علاقة الكتاب أنفسهم بزمائرهم وفكرهم وأقلامهم وحياتهم . لقد طحنت الأحداث العربية الجارية الثقافة والمثقفين وشغلت محنة المعيشة ، للحفاظ على مجرد الوجود والبقاء ، سائر الكتاب في أرجاء الوطن العربي الكبير .

العذر قائم « للآداب » وصاحبها وكتاب « الآداب » . ولذلك ، عن نفسي ، لا أملك الوقت المتاح لتقديم دراسة عن دور « الآداب » في القصة العربية الحديثة منذ صدورها إلى يومنا . فضلا عن الأعداد الكاملة التي صدرت من « الآداب » طوال خمس وعشرين سنة ، للمراجعة ، والتذكر ، وتركيز النقاط ، لهذه الدراسة التي أشعر بأهميتها ، على الأقل ، لنفسي ، ككاتب قصة ارتبطت قصصه دائما « بالآداب » ، بنسبة تزيد عن تسعين بالمائة ، من مجموع ما كتبه من قصص منذ عام ١٩٥٤ ، وحتى منتصف عام ١٩٧٣ . لقد أجلت دائما أسبوعا بعد أسبوع الشروع في هذه المحاولة ، وبدا الأمر شديد التأريق لي ، ووجدتني عاجزا بالفعل ، عن كتابة دراسة ، بل عن كتابة أي عمل أدبي جاد . إن الشعور بالاحباط المستمر ، وبال الحاجة القاهرة للمحافظة على مجرد الوجود والبقاء ، قد عاقني للعام الرابع عن كتابة

العرب واسرائيل . وقبل أن يحدث فراغ بعافي في الفكر وفي الادب ، تصدت « الآداب » ، وبروح جديدة مغايرة في التحرير والاختيار والانجاء . لما كانت عليه هذه المجلات التي بدا انها شاخت عن متابعة الاحداث . وعجزت عن مواكبة التطور الفكري والاجتماعي والثقافي في ذلك الحين . دعونا نفرغ من هذه الاشارات الى دور « الآداب » في القصة العربية .



عند صدور « الآداب » . كانت القصة التقليدية . هي التيار السائد ، في النماذج القصصية العربية . تجرأ في أذيالها ركابا من القصص التاريخي ، ومن الرؤى الكلاسيكية والرومانسية ، وكان يغلب عليها لفظة الاكلسيهاات الموروثة والصور المجازية ، والاسلوب الغنائي والخطابي ، وطابع الحدوتة ، بل وسجع المقامات أحيانا . وكان لهذا التيار ممثلوه المستمرون في الكتابة والبقاء من أمثال محمد فريد أبو حديد ، وتيمور ، وباكثير ، والعيان ، والجارم ، ويوسف السباعي . ورافق هذا التيار تيار آخر ، كان يطرق ابواب الواقع في الادب القصصي بالحاح ، وفي اتجاهين متوازيين ، اتجاه الواقعية النقدية ، واتجاه الواقعية الاشتراكية .

بدأ الاتجاه الاول متصاعدا على ايدي المازني ، وظاهر لاشين ، وعيسى عبيد ، ونجيب محفوظ ، ويحيى حقي ، ومحمد عفيفي ، ومحمود البدوي . وبدأ الاتجاه الثاني متصاعدا على ايدي عادل كامل في رواية « مليم الاكبر » ، ويوسف ادريس في اقصيصه القصيرة التي كانت تنشر على صفحات « المصري » ، وعبد الرحمن الشراقوي ، وسعد مكايي وزكريا الحجاوي ، واحمد عباس صالح . ولقد صاحب هذين التيارين آراء نقدية تدور كلها حول قضيتي الفن للفن ، أم الفن للحياة ، وحول قضية الواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية . وجاءت « الآداب » ، والفلسفة الوجودية في مدتها الفكري والفني، والواقعية الاشتراكية أيضا في مدّ آخر، في الساحة الثقافية العربية . وطرحت « الآداب » منذ اليوم الاول فكرة الالتزام في الادب . وحول الالتزام دارت معارك نقدية على صفحات « الآداب » طوال سنوات الخمسينات التي أعقبت صدورها . وكان المحور في مناقشة قضية الالتزام في الادب : النظرة الوجودية من ناحية ، والنظرة الاشتراكية من ناحية أخرى . وفي ضوء هذا الجدل النقدي حول الالتزام ، نوقشت الواقعية بكل اتجاهاتها ، ونوقشت قضية العامية والفصحى في القص العربي . لقد بدا بالفعل ان تيار الواقعية يجرف على صفحات « الآداب » كل ما عداه من تيارات وقضايا . لم يخل الامر ، بطبيعة الحال ، في نقد القصة وابداعاتها العربية من مؤثرات ورواسب التقليد ، وبقايا التراث

المفوي والاسلوبي والفكري ، الكلاسيكية والرومانسية . وفي طريق الواقعية . قدمت « الآداب » ، المجلة . ثم الآداب : دار النشر ، التي ولدت من « الآداب » المجلة ، اهم ما ترجم أو ألف من نقد . أو من فصوص في وطننا العربي كله ، فصارت بحق ، وعن جدارة ، المجلة الفكرية والادبية الاولى في العالم العربي . بل وساعدت بوجودها هذا . وبهذا المستوى الملفت للنظر ، في تفجير حركة النشر للكتب الثقافية المترجمة والمؤلفة ، في لبنان ، وفي سوريا ( دار اليقظة للترجمة والنشر مثلا ) ، وحركة اصدار المجلات الثقافية من أجهزة الثقافة الرسمية في كثير من عواصم الادب العربي في مصر ، ثم في سوريا ، ثم في العراق ، وسواها من عواصم الادب العربي .



قدمت « الآداب » للادب العربي ، أسماء لامعة الآن من النقاد ، والقصاصين العرب ، الذين نشروا اكثر كتاباتهم النقدية ، والقصصية في مجلة « الآداب » ، وجمعوا اكثر ما نشره في « الآداب » المجلة في كتب نشرتها دار الآداب ، أو أصدرتها أجهزة الثقافة الرسمية، ودور النشر الخاصة في عواصم الادب العربي ، وبخاصة في مصر ، وسوريا ، والعراق . وتعكس الكتابات القصصية على صفحات « الآداب » قضايا الوطن العربي المتلاحقة ، أحداثا وسياسة وحياة اجتماعية ، من رؤى مختلفة ، أقلها دعائي مسطح ، كتب على عجل في غليان الاحداث الاجتماعية والسياسية الجارية . لكن الكثير منها نجا من هذه الهاوية الى حد فني كبير ، ربما لانها كانت تجارب معاشة . وربما لتمرس الكتاب المهويين حقا بفن القص ومعرفتهم الدقيقة بحدوده . لكن الجدير بالذكر هنا ، هو ان الفضل الكبير في نجاة اكثر ما نشر من قصص على صفحات « الآداب » من الضعف الفني ، يرجع الى مواكبة النقد المستمر والعاجل لما ينشر من قصص « بالآداب » أولا بأول . في باب « الآداب » الشهير « قرأت العدد الماضي من الآداب » ، ثم في باب « النتائج الجديد » ، أو فيما ينشر من مقالات ودراسات نقدية تطبيقية على بعض ما صدر لكتاب « الآداب » من مجموعات قصصية أو روايات . لقد لعبت هذه المتابعات النقدية دورا هاما في تأصيل الافكار والمفاهيم القصصية من ناحية ، وفي مراجعة كتاب القصة لانفسهم فيما سوف يكتبونه بعد ذلك ، بل وجعلتهم حريصين على أن يقولوا في قصصهم شيئا ، وأن يجسدهم بالصورة القصصية المحكمة البناء ، السليمة المعالجة . وحريصين على أن يكونوا ملتزمين بقضايا مجتمعهم وأمتهم الى حد بعيد ، وأحيانا الى درجة تطفئ فيها الدعاوة المعتقدية والسياسية على بعض أعمالهم القصصية ، وتوقعها في هوة المباشرة والتقريرية ، والانفعال الحاد ، أو البرود الفكري .



نماذجها « الآداب » ، أو تحفظت في نشرها ، فلم تنشر سوى القليل منها . مثل قصص ابراهيم أصلان ، وموسى كريدي ، وعبد الحكيم قاسم . والذي يبدو لي ان صاحبي « الآداب » صاروا يعطيان الاولوية للقصص السياسية من ناحية ، وصاروا نائين عن تجربة الاجيال الادبية الشابه الرافضة ، والمدينة للواقع ، أو التي تتكىء وركز على تجربة الاغتراب في حياتهم . لقد كان حدثا حقيقيا في الخمسينات ان تطلق « الآداب » في الساحة الادبية طاقات جديدة شابة ، ربما لان صاحبها كان من بينها ، واثبتت هذه الطافات جدارتها . وازافت أسماء جديدة الى أسماء الاعلام في الادب العربي الحديث . وما يزال عليها ان تستمر بنفس الدور ، ولنفس الاسباب التي بدأت بها ، اذا شاءت أن لا تلحقها الشيخوخة التي تلحقنا جميعا ، والتي أصابت من قبلها مجلتي « الثقافة » و « الرسالة » وسواهما ، فتستمر في الصدور حيناً ، ثم تذوي شمعتها ، أو تصدر ما امتد بها العمر ، وشاءت لها الظروف دون أن يكون لها أدنى تأثير ، أو يجري معها أي تفاعل . لانها كفت بالفعل أن تلعب دورا في الحياة الادبية ، وأن تحمل مشعلا ورسالة .



بالوسع ، وبالضرورة ، أن يلجأ المؤرخ الادبي للقصه العربية في هذه الفترة، الى أعداد « الآداب » ، وفهرسها العام المنظر ليتابع ظواهر القصة العربية في الربع الثالث من القرن العشرين ، ويرى انعكاس الاحداث السياسية ، والحياة الاجتماعية في مرآتها ، وليتابع حركة النقد الادبي للقصة ، وتنظيراته وتطبيقاته ، بل ليتعرف على تطور تاريخي وأدبي كامل لعديد من القصاصين العرب . الذين صاروا بعد جيل القصاصين في العقود الماضية علامات بارزة في تاريخ القصة العربية الحديثة . ان « الآداب » في رأيي ، من هذه الناحية ، ستكون أول مرجع محتوم ، لدراسة القصة العربية . ابداعاتها ونقدها ، لاجيال « الآداب » ، بل وللجيل السابقة عليها . ومن هنا تأتي أهمية الفهرس العام « للآداب » عبر ربع قرن من عمرها ، وأهمية التحليل للقصص التي رصدها هذا الفهرس ، لدراسة مضامينها وأشكالها ، والآثار والبقايا الكلاسيكية والرومانسية فيها ، والتيارات الواقعية التي تتنازع تجاربها ، حتى لدى القاص العربي الواحد ، من قصاصي الخمسينات والستينات والسبعينات .



ثمة ظواهر استرعت انتباهي بشدة فيما نشر من قصص على صفحات « الآداب » ، تدور كلها حول قالب هذه القصة ، وحجمها ، وبالتالي تصنيفها الاصطلاحي . أتاحت « الآداب » الفرصة لما يمكن ان نسميه بالقصة

في رصد عابر . لبضع عشرات من أعداد مجلته « الآداب » ، واجهت عبر الفهارس عددا من القصاصين من سائر أقطار الوطن العربي ، يقرب من مائتين وخمسين اسما . نشروا قصصهم القصيرة ، وتلك القصيره الضويلة ، ورواياتهم القصيرة على صفحات مجلة « الآداب » . وربما كان عدد من كتبوا القصة ونشروا ما كتبوه على صفحات « الآداب » ضعف هذا العدد . وأحسب ان « الآداب » بحاجة هي وقراءها ودارسوها الى نشر فهرس كامل محبوب ومصنف لكل ما نشر في أعداد « الآداب » طوال ربع القرن الذي مضى من عمرها . وبينهم كان رفاقي على درب القصة العربية من كتاب الخمسينات والستينات والسبعينات من القصاصين الموهوبين حقا ، على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والادبية ، وبخاصة في مصر ، وسوريا ، والعراق ، وفلسطين ، ولبنان ، والمغرب ، والجزائر . بعض هؤلاء الكتاب كانوا من جيل القصاصين في الاربعينات مثل يوسف الشاروني ، وادوار الخراط ، وعبد السلام العجيلي . وبعضهم كان من جيل القصاصين في الخمسينات في مصر وفي سوريا ، وهما الملع قطرين عربيين في مجال الابداع القصصي والمسرحي منذ الخمسينات وحتى الآن .

بعضهم ظل متألقا في مجال القص ، وبعضهم حبا نجمه وتوارى ، لانه آثر مجالا آخر لقلمه ، أو آثر أن يحيى حياة أخرى ، أو جاوز الاربعين ، أو انتهت به تجربته الحياتية الخاصة الى عدم جدوى الكتابة ، وسط الاحداث الجارية ، والحافلة بالهزائم والاحباطات . بعضهم يمكن أن أعدّه مثلي من أبناء « الآداب » المجلة ، حتى وان قاطعوها ، وكفوا لسبب أو لآخر عن النشر فيها مثلي ، ومثل زكريا تامر ، وهاني الراهب ، وأديب نحوي ، وحيدر حيدر ، ووليد اخلاصي ، وسميرة المانع . ومحمد زفزاف ، والظاهر وطار ، ورشاد أبو شاور ، وفارس زرزور . فقد شهدت المجلة ميلادهم ونموهم الادبي سنوات عديدة متلاحقة . لقد كانت « الآداب » مرآة حقيقية ، كمجلة أدبية ، للموهوبين ، وأنصافهم ، وأرباعهم ، وجهدت لتنشر لهم أفضل ما كتبوه ، أو تنشر حتى أسوأه ، حين يتحتم على المجلة أن تصدر بعدد صفحاتها المفترض ، وفي مواعيدها الشهرية المعتادة ، وليس لديها مما حمله بريدتها أو مراسلوها ، الامواد قليلة جيدة المستوى . مدت « الآداب » لكثر القصاصين يد التشجيع ، آملة بالتفاعل ، وبالزمن ، في نبوغ خمسة أو عشرة بالمائة من بينهم ، يكونون رصيذا ثقافيا ، وعلامات قصصية بارزة ، في تاريخ الادب العربي . وبلغ هذا التشجيع ذروته في سنوات المد الادبي الحقيقية منذ منتصف الخمسينات تقريبا وحتى نكسة ١٩٦٧ الراهية والمدمرة ، ثم تناقص هذا التشجيع من « الآداب » لانشغال صاحب « الآداب » بمعجمه « المنهل » ، أو لانطلاق روافد جديدة في القصة العربية ، لم تهضم

درب ، بيني وبينهم توثقت عرى صداقة حميمة ، ولا أعرف لأكثرهم وجوها . قد نلتقي صدفة ، في عاصمه من عواصم الادب العربي ، فاذا بنا كأننا نعرف بعضنا منذ الصبا . لقد انهارت فيما بيننا الحدود والحواجر والسدود . تجاوزنا الاقليمية والقطرية ، بل تجاوزنا ادبيا أطرنا القومية . وصار كل كاتب في العالم ، كل قارئ في الدنيا ، صديقا لنا ، من عالمنا ، وعصرنا . نعرفه . ونفهم عنه ، ويفهم عنا .

على صفحات « الآداب » ، وجدت الانعكاس ، جانبا هاما منه . لقضايا وطني وأمتي ، فكرا وثقافة ، ادبا وفنا . شعرا وقصا .

توجعني المساعر الحميمة بيني وبين خمس وعشرين سنة ، بيني وبين كتاب « الآداب » ، وقراء « الآداب » . بيني وبين « الآداب » . وأسأل نفسي : ما الذي يحدث لنا؟! ولم نتعثر في الطريق؟! السى متى؟! وكيف الخلاص؟! كيف النجاة من هوى التخلف ومصائر الامم البائدة ، والحضارات المنقرضة؟!!

تحية « للآداب » ، وصاحبها ، وأملا في استمرار « الآداب » ، كما عهدتها في أخصب سنوات عمرها وعمري !!

سليمان فياض

القاهرة

صدر حديثا

زُكَايَا حَيَاتِي (الصدر في قوسا

وأغاني في زهران

للشاعر

البايس المحمود

القصيرة جدا والتي يسميها بعضهم بالاقصوصة ، وبعضهم بالصورة القصصية ، وبعضهم باللوحه القلمية . ولكنها كانت اقل النماذج عددا في تاريخ « الآداب » . أتاحت « الآداب » الفرصة للقصة القصيرة التي ندور حول حدث واحد ، أو لحظة ، أو موقف ، أو حالة . وهذا اللون من القصة أذكر وفرتة على صفحات أعداد « الآداب » . لكن الظاهره الاخطر والاكبر ، ليس لعدددها . ولكن لجدتها ، هي ان « الآداب » أتاحت الفرصة لما نسميه بانقصة القصيرة الطويلة ، بل ونشرت عددا كاملا من الروايات القصيره على صفحاتها . لقد جرت عادة المجلات الادبيه في الثلاثينات والاربعينات ان تنشر الافاصيص ، والقصص انقصيرة ، لتقدم أوفر ماده . تاركة المجال لنشر القصص القصيرة الطويلة ، والروايات القصيرة والطويلة للكتب . ولما كان ما يزال نشر كتاب في عالمنا العربي أمرا عسيرا ، وبالغ الصعوبة ، ومحفوبا بالملكاه ، وبالخسائر ، فقد أتر كثير من الكتاب ان يكتبوا القصص القصيرة ، والاقاصيص ، لنشرها بالمجلات . وكان هذا المأزق هو أحد الاسباب الواضحة ، في قلة النماذج المكتوبة من القصص القصيرة الطويلة . لكن هذا القالب في القصة هو القالب السائد الآن في القصص العالمي ، يليه قالب الروايات القصيرة ، لاكثر من سبب لا مجال لمناقشتها هنا . وجاءت « الآداب » ، فقدمت البنت الطباعي الصغير غالبا لنشر القصص على صفحاتها ، وأتاحت بذلك الفرصة لانطلاق القاص العربي ، متجاوزا الاقصوصة ، والقصة القصيرة ، السى القصة القصيرة الطويلة . بل والرواية القصيرة . فأعطى قلمه وتجربته بهذا الانطلاق حرية لم تكن متاحة له في معالجة تجاربه القصصية التي تتجاوز قالب الاقصوصة . وقالب القصة القصيرة ، والتي تقصر في ذات الوقت عن أن تكون تجربة روائية . وقدر لنا نتيجة لذلك ان نكتب وأن نقرأ قصصا قصيرة طويلة مثل البدوي ، والنوافذ المغلقة ، وصفعة سوط ، وصهيل الجواد الابيض ، وأصوات ، والقرين . وتلك ظاهرة جديرة بالتقييم والالتفات من ناقدتي القصة ومؤرخيها .

★

على صفحات « الآداب » ، كان ميلاد أول قصة نشرت لي عام ١٩٥٤ . ومن صفحات « الآداب » ، ومنشورات دارها ، كان جزء هام وحي من ثقافتي القصصية والنقدية .

على صفحات « الآداب » ، نشرت عبر عشرين سنة ما يقرب من خمسين قصة ، أكثرها قصص قصيرة طويلة ، هي معظم ما كتبته من قصص في حياتي . اذا بقي لي منها عشر قصص لتعيش قرنا آخر ، فذلك حسبي .

على صفحات « الآداب » ، صار لي قراء ، ورفاق